في الحفل التأبيني للفقيدة الدكتورة نزيهة الدليمي

طالباني: خير ما نمجد به ذكرى الفقيدة.. ان نضع يداً بيد نحو تحقيق الأهداف السامية

سجل العراق يشهد بانها اكبر من لقب دكتورة ، ومن لقب مناضلة ، وقيمة حياتها لا تنحصر في منصب تبوأته في عهد الزعيم الشهيد (عبد الكريم قاسم) ولا بكونها رئيسة لرابطة المرأة حين ضمت اربعين ألف منتسبة ونيفا ، بل لانها تمثل اشراقة النساء الطليعيات اللواتي خضن عباب الحياة السياسية والاجتماعية بكفاءة ونزاهة كسبها (محمد زكي بسيم) في اولى القراءات ، ومن ثم الى النشاط السياسي ، حتى صارت شخصية ترتاد المحافل العالمية مسجلة زمناً جديداً للعراقيات وخاضت صراعاً بالمناكب من اجل ان تصبح المراة العراقية شخصية مستقلة تضمن مساواتها القوانين وترفع عنها الحيف.نزيهة الدليمي ، امرأة عراقية ومن الشخصيات المرموقة عالمياً ، اذ حازت عضوية مؤتمر السلام العالمي ، واتحاد النساء الديمقراطي العالمي ، ولم تغادر عميدة الحركة النسوية العراقية معنى "اسمها" فقد ظلت مثلما يناديها المحبون "نزيهة" معلمتها في الابتدائية هي "سعدية سليم" زوج حسين الرحال مؤسس الحلقات الماركسية الاولى وصاحب صحيفة "الصحيفة" ومعلمتها في البيت ، جدتها ، تلك الفلاحة الامية القادمة من عشائر "الدليم" في ريف المحمودية والتي وهبتها الطبيعة ذكاء فطرياً ، في الثانوية ، نزلت "نزيهة" الى ساحة المدرسة لتهتف مع زميلات لها ضد الاستعمار ولم تكن تعلم بعد ان الهتاف ضد الاستعمار "سياسة" اكملت دراسة الطب وعملت طبيبة في القرى النائية والاهوار وفي كردستان ، وتلمست الفقر والمعاناة والمرض والجهل على اديم العراق. في عام ١٩٥٩ انتخبت نزيهة الدليمي رئيسة له فيما كانت والدتها بعباءتها جالسة في القاعة وهي سعيدة وفي يوم بغدادي قائظ اتصل بها مرافق الزعيم طالباً منها الحضور الى وزارة الدفاع حيث مكتب الزعيم ، لم تكن الطبيبة الشيوعية تملك ثمن اجرة التاكسي لانها شرعت ابواب عيادتها للفقراء مجاناً ، ولذلك ركبت الباص رقم (٤) الذاهب الى باب المعظم حيث تقع وزارة الدفاع ثم ترجلت منه ومشت مسافة طويلة تحت اشعة الشمس المحرقة ، ومن البوابة الرئيسة وبلوغها مكتب الزعيم وهي تتساءل عن سبب استدعائها ولم يكن المنصب يخطر ببالها ، فجاءها المنصب لتصبح اول وزيرة ، لا في العراق فحسب بل في البلدان العربية والاسيوية.

بغداد/ شاكر المياح

فيما بقيت تفتخر بنذر نفسها لقضايا شعبها ووطنها لا باستيزارها بهذه الكلمات اذن عريف الحفل "ابراهيم الخياط" لابتداء التأبين بنشيد "موطني" الذي استمع الحضور الى انغامه وقوفاً مع دقيقة صمت حداداً على روح الفقيدة.

بعد ذلك تلا الاستاذ جلال الماشطة كلمة رئيس الجمهورية الاستاذ "جلال الطالباني" بالانابة جاء فيها: انها الشخصية الوطنية المرموقة والمناضلة التي وهبت كل حياتها لمحاربة الجور والطغيان ومن اجل ان تشرق على ربوع بلادنا شمس الحرية والمساواة والسعادة لكل مواطن في وادي الرافدين، بصرف النظر عن قوميته او دينه، عن مذهبه او فكره عن جنسه او لونه، لقد لعبت الفقيدة دوراً بارزاً في الحركة الوطنية مناضلة في صفوف الحزب الشيوعي العراقي، ومكافحة من اجل وحدة قوى الشعب، ومؤسسة لحركة السلم العالمي وعضوة في مجلسها الدولي.

ولقد كانت الفقيدة "الدليمي" مؤسسة لحركة نسوية فاعلة سعت الى تحطيم الاغلال التي تكبل المرأة وتعيق تبوءها دورها كمواطنة اسوة بالرجل وتمردت على قوى سعت الى ابقاء المرأة حبيسة الدار مسلوبة الحقوق، وكان توليها حقيبة وزارية بعد اعترافاً بدور المرأة وتكريساً لنيلها جزءاً من حقوقها المهدورة وتتويجاً لنضالات طويلة خاضتها نساء العراق وكانت الفقيدة في الطليعة منهن ان عملها كطبيبة وتنقلها بين بغداد والسليمانية وكربلاء والعمارة ومدن اخرى قد ساعد على توثيق الصلة بينها وبين ابناء الشعب فاحست بالامهم ومعاناتهم وادركت ان التخفيف منها لا يتم الا بزوال اسباب الحيف والجور وارساء نواميس العدل والتكافل والمساواة بين البشر، لقد عزمت "الدليمي" على ان تعود بعد رحيلها الى بلاد احبتها لتدفن في ارضها الطاهرة بعد ان ارغمتها سنوات الطغيان والديكتاتورية على البقاء مكرهة في المنافي ان هذا الحفل التأبيني مناسبة لاسترجاع ذكرى كل عراقية وعراقي ناضلت او ناضل ضد الاستبداد والظلم وكل من كافح اليوم لوقف موجة الارهاب الاسود وانهاء العنف الاهوج ومن اجل تصفية اثار الديكتاتورية واستعادة سيادة العراق ناجزة وتحقيق المصالحة الوطنية واعادة اعمار البلاد وضمان حقوق المواطنة الكاملة للجميع وانصاف ضحايا الطغيان والارهاب والتصدي لمثيري الفتن والساعين الى اشعال نيران البغضاء ومحاربة الفساد، أي باختصار بناء عراق حر ديمقراطي فيدرالي تعددي موحد يتمتع فيه الجميع بالمساواة وينعمون بالاستقرار ان خير ما نمجد به ذكرى الفقيدة الغالية ان نضع يداً بيداً لنمضي نحو تحقيق هذه الاهداف السامية التي كرست الدكتورة (نزيهة الدليمي) اكثر من ستة عقود من حياتها مناضلة في سبيلها بعد ذلك قرئت كلمة الامانة العامة لمجلس الوزراء تلاها السيد "محمد طاهر التميمي" جاء فيها: نجتمع في هذا اليوم التاريخي الحزين لنؤبن احدى فضليات نساء العراق ورائدة من القيادات النسوية الفاعلة واول وزيرة في تاريخنا المعاصر تتويجاً وايذاناً بالدور النسوي الفاعل في حياتنا، فقد تفاعلت فقيدة الشعب والوطن الدكتورة الرائدة نزيهة الدليمي رحمها الله مع المسارات السياسية والثقافية والانسانية طيلة العقود الثلاثة المنصرمة التي مرت على بلادنا بروح الكفاح والمجاهدة الصلبة، وكانت فيها الفقيدة بحق منافحة عن حقوق بنات جنسها فضلاً عن كرامة الوطن وابناء شعبها المظلوم من خلال مواقفها السياسية المشهودة، ونتاجاتها الفكرية المشهودة واصداراتها الجريئة في مجلة "تحرير المرأة" التي اسهمت في تحريرها من وقت مبكر ومنذ اربعينيات القرن المنصرم مطالبة بالديمقراطية الحقة لابناء شعبها ومكافحة مقدامة للافكار النازية والفاشية التي وفدت على بلادنا يومذاك، وامتداداتها المتمثلة بالطغمة البعثية الشوفينية البعثية التي حكمت العراق بالنار والحديد والظلم والقسوة لاكثر من ثلاثة عقود لاقت خلالها الفقيدة متقاسمة مع ابناء شعبها المعاناة المريرة والظلم والعبث والمصادرة الفكرية والقمع السياسي والطائفي والتي كانت تمارسه قطعان البعث الشرسة في الفتك بابناء العراق بالوان طيفه كافة، وفي خضم زحام ذكراها العطرة، لا يسعنا الا ان نسجل في سجل الانسانية المعذبة كفاحها الدؤوب في مجال تخصصها الطبي الذي يشهد لها بمواقفها التي ترقى الى حد نكران الذات بالنزول الى المناطق الشعبية الاكثر فقراً متلمسة لمسة حنان انسانية تضعها على تلك الاجساد الرهيفة التي طالها المرض والفقر والحرمان والعوز لابسط ما تتوافر عليه الانسانية من شروط الحياة الكريمة، واعلن التميمي عن مبادرة لجنة (اعادة تسمية شوارع العاصمة بغداد وساحاتها "اطلاق اسم الراحلة الرائدة على احد شوارع مدينتنا الحبيبة بغداد وقد قوبل هذا الاجراء بالتصفيق الحار من قبل الحاضرين.

بعد ذلك توالت كلمات ممثلي مجلس النواب والاحزاب والقوى الوطنية ومنظمات المجتمع المدني التي اشادت بدور الفقيدة في ترسيخ ثقافة المواطنة وحب الوطن وتصديها للدفاع عن حقوق المرأة العراقية على الصعيدين المحلي والاقليمي والعالمي وفي حرصها على تأطير العمل السياسي بالممارسات الديمقراطية الصحيحة وفي استشراف معطيات الحضارة الانسانية والفكرية والعلمية والثقافية والتقنية ومنها برقيتا التعزية اللتان بعث بهما الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة التي بدأها بالقول: ان الفقيدة كرست حياتها دفاعاً عن النساء والاطفال والفقراء مؤكداً انها مثال ملهم للجميع، وبرقية تعزية السكرتير العام للحزب الشيوعي البريطاني التي وصف فيها الفقيدة بانهانصيرة حقوق المرأة وبالشخصية البارزة في الحركة الشيوعية العالمية.

وعلى هامش الحفل التقت "المدى" بعضاً من رفيقات دربها اللواتي استذكرنها باجلال ووصفنها "بالام الحانية" وكانت الدكتورة "سافرة جميل حافظ" هي اول من التقتها وسألناه: ماذا تتذكرين من الفقيدة؟ فقالت: كانت تمثل جميع العراقيات وليس لي فقط فهي الام والاخت، القائدة، المنظرة وهي التي عبدت الطريق الواسع للمرأة العراقية كي تأخذ مكانتها الحقيقية وتنال حقوقها، وان تكون رمزاً للنضال من اجل الاستقلال الوطني والديمقراطية، ومن اجل حقوق المراة التي ناضلت من اجلها الفقيدة وبذلت كل ما بوسعها، والذي تحقق للمرأة العراقية منذ خمسينيات القرن المنصرم وحتى اليوم ما هو الا نتيجة حتمية لذلك النضال الجبار الذي قادته الراحلة الغالية مع رفيقاتها الرائدات، وعن ابرز ذكرياتها مع الفقيدة قالت: الذكريات تأريخ، لذلك لا استطيع ان اختزلها بذكرى واحدة، او اثنتين او ثلاث، وانما هو تأريخ العمل والنضال المشترك وكذلك دروب الثقافة والحياة المشتركة وكثيرة هي الذكريات، وهنا لابد من ان اشير الى لقائي الاول عندما اطلق سراحي من المعتقل في عام ١٩٥٢ بعد ان سمعت من الرفيقات اللواتي كن رهن الاعتقال بان هناك قائدة نسوية اسمها "نزيهة الدليمي" لم اكن قد رأيتها من قبل لانها كانت تكمل دراستها في خارج العراق وبعد عودتها التقيتها وسرنا معاً في ذات الطريق الذي شهد مسيرتنا الطويلة هذا اليوم، كان يمثل انعطافة حقيقية في حياتي وكانت تعمل بجد واخلاص من اجل التغيير الجذري للحياة في العراق وكانت تبشر بهذا دائماً وتدعو وتناضل ونحن معها، الى ضرورة الخروج من (المستنقع الاسن) وها هو حلمها يصبح حقيقية ويتخلص العراق من تلك الادران وقد كان المخاض عسيراً حتى حانت لحظة الولادة يوم صدور قانون الاحوال الشخصية عام ١٩٥٩ والذي مثل نصراً مدوياً توج نضال المرأة العراقية بقيادة الفقيدة الرائعة، والنصر الاخر تجسد في استيزارها كأول وزيرة في العراق وفي المنطقة العربية والاسيوية ولو استمر العمل بذلك القانون لكان حال المرأة العراقية على غير ما هو عليه الان.

مجلس الوزراء يسمي احد شوارع بغداد باسمها تخليداً لدورها الوطني الرائد

قصة الجثة رقم ١٧

بعد ذلك التقينا السيدة "ام سلام" زوجة الشهيد المحامي "حمزة سلمان" عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي فقد احنى ظهرها الزمن المر والقاسي وبدا وجهها غضيناً الا ان ثمة سماحة وحيوية منحت حديثنا صفاءاً ونقاءاً فريدين قلنا لها: حديثنا عن الفقيدة فقالت: "عمت عيني عليها" كانت اختي العزيزة ورفيقة دربي كانت تقودنا يوم انضممنا الى (رابطة المرأة العراقية) برغم انشغالها بوظيفتها كطبيبة في مستشفى (المجيدية انذاك) بعد ذلك افتتحت لها عيادة طبية في منطقة الشواكة مما استدعانا عن الرابطيات ان نهب لمساعدتها في عملها الجديد لاسيما انها تقوم بمعالجة المريضات مجاناً وخاصة في مجالي النسائية والاطفال وكذلك تعمل على تلقيح الاطفال ضد مرض الشلل، كما كانت تأخذنا الى صرائف خلف السدة (منطقة العاصمة آنذاك) والتي فتحنا فيها مشغلاً للنساء خاصاً بالخياطة كما نقوم بجلب الحوامل الى المستشفى بغية فحصهن وتزويدهن بالادوية والمقويات ومن ثم اعادتهن الى منازلهن بواسطة (باص خشبي) وعن ذكرياتها مع الفقيدة قالت ام سلام: كنا نسكن في الكرادة محلة "الزوية" ومكتب زوجي الشهيد قبالة سوق الصفافير وفي كل يوم خميس كان يمر عليها في عيادتها في الساعة ٨ ويأتيان معاً الى بيتنا وفي صباح يوم الجمعة ننزل الى شاطئ دجلة ونسبح فيه (بدشاديشنا) ونسكف لها (السمك) كان هذا في اعوام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٦ وفي هذا العام تم اعتقال ابو سلام وزجه في السجن فانقطعت عن زيارتنا، اولادي كانوا ينادونها (عمة) وتستذكر ام سلام بحزن فتقول: من الغريب حقاً ان تنشر السلطات انذاك خبر هروب ابو سلام من سجن (نقرة السلمان) في الوقت الذي تم فيه اعدامه وبعد حل الحرس القومي اعلنوا في الاذاعة فان على ذوي المفقودين مراجعة الدوائر الامنية فذهبت الى احداها وزودت المسؤولين فيها بمواصفات ملابسه وملامح وجهه فاعطوني كتاباً رسمياً يسمح لي بتسلم جثته ذات الرقم (١٧) ووصلت" الطب العدلي" فوجدت ٢٥ كيساً تحتوي على جثث مناضلين جرى اعدامهم من قبل زمر انقلاب شباط الاسود فوجدت جثة زوجي بين هذه الجثث المعبأة في اكياس (كواني) مكتوب على احداها (المحامي حمزة سلمان) ورقمه (١٧) وبعد فتح الكيس وجدناه في ملابسه وهو مكبل اليدين والقدمين، وبعد ان بلغ ابني سلام الحادية عشرة من عمره عينت بصفة عاملة في معمل التمور وامضيت في عملي ٢٥ عاماً وبما ان راتبي كان بحدود مائة دينار واسكن في بيت ايجاره مائة دينار مما اضطرني الى طلب الاحالة على التقاعد بعد ان زدت عمري ثماني سنوات لان القانون انذاك لا يجيز الاحالة على التقاعد في عمر ٥٢ سنة ومن ثم عدت الى عملي السابق بصفتي متعاقدة براتب ١٠٠ دينار بعد ان كبر ابني "وتاب" عادت الى العراق وزارتنا في بيتنا وقد احتضنها وثاب وهو يبكي ويصرخ (يا عمة) وهي ترجوه بان لا يناديها بهذه الكلمة لانها تذكرها بابيه الشهيد (حمزة سلمان) وتستذكر ام سلام فتقول: كانت معي في الرابطة كل من الدكتورة سافرة جميل حافظ والدكتورة روز وام احسان وام غزوان وبشرى الحكيم.

بعد ذلك التقينا السيدة (نبيهة كرم الوتار) من سكنة محافظة ميسان سابقاً، وسألناها: متى تعرفت على الفقيدة قالت: تعرفت عليها في مطلع ستينيات القرن الماضي يوم كنت اعمل في فرع الرابطة بمحافظة ميسان حينما كانت تقوم بزيارة جميع المحافظات ومنها (ميسان) يوم كانت الحركة النسوية في العراق باوج نشاطها وفاعليتها، وفضلاً عن ذلك كنا نلتقي بها نحن القياديات في المقر الرئيس للرابطة ببغداد بعد ان توجه لنا الدعوات لحضور اجتماعات (الرابطة) الرئيسية، وكنا نلمس فيها روح التفاني وتبدو لنا شعلة من نشاط وتوهج (يا عيني عليها) وما زالت هي مثلنا الاعلى وهذا ما يشرفنا حقاً، وان غيابها هو خسارة كبيرة لا تعوض ولا اعتقد ان الزمان سيجود بمثلها ابداً لانها كانت صاحبة مبادئ لا تحيد عنها اطلاقاً مهما كانت الظروف المحيطة بها وتضيف نحن سنبقى نتبنى المنهج الذي خطته الفقيدة وعلى خطاها ومسارها ماضيات وسيترك غيابها اثراً كبيراً في المجتمع العراقي والحركة النسوية في العراق ورابطة المرأة العراقية على وجه الخصوص، وفي نفوسنا ايضاً ثم التقينا السيدة (نقية اسكندر) الذي حدثتنا عن ذكرياتها مع الراحلة قائلة: بيتنا كان مقرا لانطلاق التظاهرات والتجمعات النسوية وكنت اصغر رابطية فعمري كان لا يتعدى التسع سنوات فقالت لي الفقيدة ستمنحك الهوية رقم واحد وبالتزكية هذا الموقف لا انساه ابداً واتذكر ايضاً الدكتورة سافرة وسالمة الفخري والدكتورة عفيفة البستاني واخر مرة التقيتها في عام ١٩٦٣ الا اني استمررت بمتابعة اخبارها ثم التقينا الدكتورة خيال الجواهري التي حدثتنا عن علاقتها بالفقيدة قائلة: علاقتي بها تمتد منذ البدايات الاولى لتأسيس رابطة المرأة العراقية وكانت هي الرائدة عملت معها كسكرتيرة لها، بعد ان كنا نعمل بشكل سري في جمعيات مثل جمعية الهلال الاحمر وجمعية مكافحة الفاشية وجمعية الطفولة ثم تأسست الرابطة في ١٠ آذار من عام ١٩٥٢ ولا انسى ان بداية علاقتي مع الفقيدة كانت عن طريق والدي واخر مرة التقيتها كانت في عام ١٩٩٩ في شقلاوة حينما حضرنا احد المؤتمرات ثم عدنا معاً الى بيتنا في دمشق وامضت معنا ثلاثة ايام تلمست فيها البساطة والتفاني والصبر والتواضع، واستغللنا وجودها لعقد اجتماع ضم العديد من النساء العراقيات تمت خلاله مناقشة الاوضاع المتردية في العراق واستنهضت الفقيدة في الحاضرات روح التصدي للديكتاتورية والاستبداد وهنا لابد من الاشارة الى دورها الاساسي في اصدار قانون الاحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ بالتعاون مع الدكتور "صفاء الحافظ" والذي يعد القانون الاكثر تطوراً في عموم المنطقة العربية والاسيوية ولقد اقتبس منه القانون فيما تراجعنا كثيراً والشاهد على هذه المادة ٤١ من الدستور العراقي التي تعمق الطائفية والمذهبية ولهذا نطالب بتفعيل قانون الاحوال الشخصية رقم ١٨٨ والعمل به خدمة لمصلحة المرأة وتعزيزاً لحقوقها، وعن ابرز محطات الفقيدة قالت: ابرز محطاتها اليوم تخرجها في كلية الطب وهي في خضم نضالها السياسي واختيارها نائبة في سكرتارية اتحاد النساء الديمقراطي العالمي، ومن ثم استيزارها كاول وزيرة في تاريخ العراق وفي منطقة الشرق الاوسط ومشاركتها في مؤتمرات عالمية عديدة كانت فيها الصوت المعبر عن المرأة العراقية وتطلعاتها نحو التحرر والانعتاق ونقلت لها خبرات لاتحادات النسوية في جميع انحاء العالم ولهذا نحن نستذكرها في هذا اليوم بكل اجلال ومحبة اما السيدة "ام دريد" زوجة الاستاذ سامي احمد فقد قالت : رحيل الفقيدة خسارة كبيرة لمسيرة المرأة العراقية لانها كانت صوت متفرد ظل جهورياً مطالباً بالمساواة والعدالة وضمان حقوق المرأة العراقية وانا امثلها بشجرة عظيمة وارفة الظلال والفقيدة انجزت مهام عظيمة امضت حياتها متفانية من اجل المرأة والطفولة ونعاهدها على المضي في الطريق الذي اختارته الفقيدة برغم العقبات والصعوبات عند الفقيدة:

الطقوس الدينية لا تتعارض مع الماركسية

بعد ذلك التقينا عضوة مجلس النواب ميسون الدملوجي التي قالت: تربينا في ظل هذا الاسم الكبير كناشطة نسوية ولي معها ذكريات شخصية فهي صديقة وزميلة لوالدتي وخالتي وكنت اشعر بانها قريبة مني بالرغم من انني لم التقها انذاك، الا انني قابلتها اكثر من مرة في لندن خلال السنوات القليلة الماضية ودارت بيننا احاديث مشوقة، الفقيدة شخصية متميزة وذات ثقافة واسعة لا يحيطها وصف، واذكر يوماً اني سألتها عن الجانب الروحي في حياتها لا سيما انها كانت تؤدي الكثير من الطقوس الدينية كالصوم والصلاة، فقالت: ان الطقوس الدينية لا تتعارض مع الافكار الماركسية وقد ترسخت هذه الكلمات في ذاكرتي حتى اليوم ثم التقينا وزيرة الدولة لشؤون المرأة الدكتورة نرمين عثمان التي قالت: الفقيدة اول مطرقة للحركة النسوية في العراق وهي المبادرة للدخول في هالة النور، وهي بالنسبة لي اعدها الرمز الكبير لقوة المرأة العراقية وتحديها للصعاب وهي العراقية الصلبة والجريئة والمقاومة التي افنت حياتها من اجل النهوض بواقع المرأة العراقية سعياً لنيل حقوقها ومساواتها مع اخيها الرجل وقد بعثت لي برسالة حينما اصبحت وزيرة لشؤون المرأة هنأتني فيها وتمنت لي الموفقية ولم يحالفني الحظ بلقائها وهناك عراقيات كثيرات يعددنها المثل الاعلى لانها اول عراقية سعت لوحدة المراة العراقية ونجحت نجاحاً باهراً في هذا الميدان وعن البديل للفقيدة الراحلة قالت: النساء العراقيات مجتمعات هن اللواتي سيخلفن الفقيدة لان العمل الجماعي يثمر اكثر من العمل الفردي ومع هذا تظل هي الرمز وهي المثل الاعلى اما رئيس الحزب الوطني الديموقراطي السيد (نصير الجادرجي) فقد قال: الفقيدة ممثلة كبيرة على مسرح الحياة وادت دورها بكل براعة، وقد جرت العادة على اقامة حفل تأبين لمن يرحلون من الرموز الكبار واليوم نحضر هذا الحفل لتأبين رائدة في الحركة النسوية في العراق وفي العالم وارى من المناسب نثر الورود والرياحين في مثل مناسبات كهذه احتراماً وتقديراً لمسيرتها الكبيرة والتي يقتدي بها النساء والرجال على حد سواء.

رفيقات دربها يستذكرنها باجلال ومحبة.. ويصفنها بالام الحانية